السيرة النبوية ومكانتها وأهميتها ومصادر دراستها :-

السيرة لغة:- تعني السنة والطريقة والحالة التي يكون عليها الإنسان ويقال فلان له سيرة حسنة قال تعالى : ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ [1].

السيرة اصطلاحاً:- تعني قصة الحياة وتاريخها، كتبها تسمى كتب السير يقال : قرأت سيرة فلان: أي تاريخ حياته، أما السيرة النبوية : تعني مجموع ما ورد لنا من وقائع حياة النبي (α) وصفاته الخلقية والخَلْقية مضافاً إليها غزواته وسراياه (α) وأحوال عصره وأخبار أصحابه .

أهمية السيرة ومكانتها :-

1- السيرة النبوية : ثاني مصادر التشريع الإسلامي بعد القران الكريم كما تعتبر المذكرة التفسيرية للقرآن لأنها تعين على فهم كتاب الله وتذوق روحه ومقاصده فكثير من الآيات القرآنية تفسرها الأحداث التي مرت بها السيرة النبوية من خلال مواقف الرسول (α) وطرق تعامله معها .

2- السيرة هي السبيل إلى فهم شخصية الرسول (α) من خلال حياته وظروفه التي عاش فيها للتأكد من أنه (α) لم يكن مجرد عبقري سمت به عبقريته ولكنه قبل ذلك رسول أيده الله تعالى بوحي من عنده .

3- تجعل دراسة السيرة النبوية بين يدي الإنسان صورة للمثل الأعلى في كل شأن من شؤون الحياة ليتمسك به ويحذو حذوه فقد جعل الله تعالى النبي(α) قدوة للإنسانية جمعاء بقوله :﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ [2].

4- تكون لدى دارسها أكبر قدر من الثقافة والمعارف الإسلامية سواء ما كان منها متعلقاً بالعقيدة أو

الأحكام أو الأخلاق .

5- من خلالها يتم التعرف على الجيل الأول من المسلمين الذي كان صدى للقرآن وكان التطبيق العملي لحكم الله أمراً ونهياً.

6- التعرف على منهج الرسول (α) وأسلوبه في طرق التربية والتعليم .

---

[1]- سورة طه، الآية 21.

[2]- سورة الأحزاب ، الآية 21.

7- تمتاز سيرة الرسول (α) بأنها تمثلت كاملة في كلياتها وفي جزئياتها ، ولا تمتلك الإنسانية اليوم سيرة شاملة لنبي غير السيرة النبوية لنبينا محمد (α) مقارنة مع سيرة غيره من الأنبياء(8).

النطاق الزماني والمكاني للسيرة النبوية وأقسامها :

1- النطاق الزماني :- تشمل الفترة من ولادته (α) عام الفيل وحتى وفاته 12 ربيع الأول سنة 11هـ وتمثل 63 سنة قمرية 571-632.

2- النطاق المكاني :- مكة بلد الله الحرام والمدينة المنورة – بلاد الحجاز بشكل خاص ، والكرة الأرضية بأجمعها .

3- أقسام السيرة النبوية :- تنقسم السيرة إلى ثلاث أقسام :

أ- المبتدأ – (مدته 40 سنة يبدأ من ولادته – حتى البعثة) يتضمن أخبار حال العرب والجزيرة وأحوال مكة وبناء البيت وأحوال الرسول (α) قبل البعثة .

ب- المبعث – (مدته 13سنة) يبدأ من نزول الوحي (القرآن) حتى هجرته إلى المدينة وتسمى بفترة العهد المكي .

ج- المغازي والسرايا – (مدتها 10 سنوات) يبدأ من الهجرة للمدينة حتى وفاته (α) وتسمى بالعهد المدني وتشمل مرحلة بناء الدولة والتمكين – مرحلة الانطلاق والتوسع والتنظيمات الإدارية ونشر الإسلام خارج الجزيرة .

ثانياً: مصادر دراسة السيرة النبوية :

لكل علم مصادره التي يستقي منها مادته، السيرة النبوية أيضا لها مصادرها، أما المراد بمصادر السيرة، فإذا كان الصدر لغةً هو أول الأشياء ومقدمها صدر الوادي هو أعلاه أي منابعه[3]، أذن المقصود بمصادر السيرة النبوية مآخذها التي يرجع فيها إلى النقل والبحث في وقائع تاريخية ترتبط بفجر الإسلام وسيرة نبيه(α) ولا يمكن الاستناد فيها إلى الأخبار عن طريق الاختراع العقلي ، بل العمدة فيها بحسب رأي الطبري هو الرواية عن شهود الواقعة أو عن خبر الله تعالى وخبر رسوله (α) وهو ما يستشف من مقدمة تاريخه الذي تعتبر السيرة أحد أقسامه حيث قال:"وليعلم الناظر في كتابنا هذا، أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكرت فيه، مما شرطت أني راسمه فيه، غنما هو على ما رويت من الأخبار ، التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي

[3]- ينظر:ابن منظور،لسان العرب،446/4؛ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط، 68/2؛ الطريحي، مجمع البحرين، 592/2.

أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس ، إلا اليسير القليل منه ، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين، غير واصل إلى من لم يشاهدهم، ولم يدرك زمانهم، إلا بإخبار المخبرين ، ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس"[4]، ومصادر روايات السيرة عند المؤرخين ليست على درجة سواء في الأخذ منها والاعتماد عليها ، بل تتفاوت بحسب قيمتها ، وأوثق هذه المصادر وأصحها.

1- القرآن الكريم :

يأتي في مقدمة مصادر هذا الفن القرآن الكريم ، فقد عرض كثيراً من أحداث السيرة النبوية عن طريق سرد مشاهدها ، أو عن طريق تعليقه عليها ، وبيان موقفه منها ولفت أنظار المسلمين زمن البعثة وبعدها إلى ما تتضمنه وقائعها من عظات ودروس ليستفيدوا منها في مجالات حياتهم، فهو أول المصادر التي يجب على الباحث أن يرجع إليه للتعرف على سيرته (α)، فقد جاء في ثنايا القرآن الكريم عرض لحياته قبل البعثة وبعدها من ولادته ونشأته إلى أن التحق(α) بالرفيق الأعلى.

2- كتب التفسير:

لأستقاء المادة التاريخية المتعلقة بسيرة الرسول (α) منها تحتاج إلى معرفة الآتي :

أ- معرفة الناسخ والمنسوخ

ب- معرفة أسباب النزول

ج- تحديد المكي والمدني من آيات القرآن الكريم .

3- كتب الحديث والسنن:

ومن أمثلتها كتاب الموطأ لمالك بن أنس(ت 179هـ) ويتضمن 600حديث . وكتاب الجامع الصحيح للبخاري (ت256هـ) مجموع ما به من أحاديث 7275 بالمكرر ومن غير المكرر 400حديث. كتاب المسند الصحيح لمسلم (ت261هـ) وصل عدد أحاديثه بالمكرر 7388 ومن غير المكرر3033.كتاب السنن لأبي داوود (ت275هـ) عدد أحاديثه 4800حديث .كتاب السنن لأبن ماجه (ت275هـ) تختلف أحاديثه باختلاف الطبعات ففي طبعة 4341، وفي طبعة أخرى

---

[4]- تاريخ الرسل ،13/1.

4397 حديث.كتاب السنن للترمذي (279هـ) أحاديثه 3956 حديث. كتاب السنن الكبرى للنسائي (ت303هـ) وأحاديثه فيها 11770حديث ، أما في كتابه السنن الصغرى5761 حديث .

4- كتب السير والمغازي :

تدرس حياة الرسول (α) وأحواله وكل ما يتناول الأحداث التي خاضها في مراحل حياته وجهاده ، ومن أقدم كتب السير ومؤلفوها كتاب المغازي لعروة بن الزبير (ت94هـ)، كتاب المغازي لشرحبيل بن سعد (ت113هـ) ، مغازي الزهري لمحمد بن شهاب الزهري (ت124هـ)، كتاب جوامع السير لعبد الله بن أبي بكر بن حزم(ت135هـ)، كتاب السير المغازي لمحمد بن إسحاق (ت151هـ)، كتاب تهذيب سير ابن إسحاق لأبن هشام (ت218هـ)، كتاب المغازي لمحمد بن عمر الواقدي (ت207هـ)، كتاب عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لأبن سيد الناس (ت734هـ)، كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي (ت942هـ) ، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (ت1044هـ).

5- كتب الشمائل والدلائل والخصائص :

وهي تعالج الجزء الذاتي أو الشخصي من حياة الرسول (α) على صعيد الجانب البشري من حياة الرسول (α) سواء على صعيد الجانب البشري المتعلق بصفاته الخلقية والخلقية ولباسه ومأكله ومشربه الخ أو على صعيد الجانب المتعلق بنبوته (α) كالمعجزات أو الشواهد الدالة عليها والخصائص التي اختصه الله بها دون سواه من دون البشر .

أ- كتب الشمائل : تتناول أخلاق آداب وصفات النبي (α) مثل كتاب صفة النبي لأبو البختري وهب بن وهب الاسدي (ت200هـ)، صفة النبي لأبو الحسن علي بن محمد المدائني (ت224هـ)، صفة أخلاق النبي لداوود بن علي الأصبهاني (ت270هـ)، كتاب الشمائل والخصائص المصطفية للترمذي(ت279هـ)، كتاب أخلاف النبي وآدابه لأبو عبد الله محمد بن حبان الأصبهاني (ت369هـ)، كتاب شرف المصطفى لأبو سعيد عبد الله بن محمد النيسابوري (ت406هـ)، كتاب شمائل النبي لأبو العباس المستغفري (ت432هـ)، كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (ت544هـ) ،كتاب شمائل الرسول لأبن كثير (ت774هـ).

ب- كتب الدلائل : تتناول المعجزات والدلائل التي تبين صدق النبي (α) وعلامات النبوة وآياتها ودلائلها مثل: كتاب دلائل النبوة محمد بن يوسف الفريابي (ت212هـ)، كتاب آيات النبي لعلي بن محمد المدائني(ت225هـ)، كتاب أعلام النبوة لداوود بن علي الأصبهاني (ت270هـ)،

أعلام رسول الله لأبن قتيبة (ت276هـ)، أعلام النبوة لأبن حاتم (ت327هـ)، دلائل النبوة لأبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي(ت458هـ) ، ودلائل النبوة لعلي بن محمد الماوردي(ت450هـ).

ج- كتب الخصائص : وهي نوع من الفضائل تهتم بما امتاز به النبي (α) عن بقية الخلق من خصائص ، وظهر هذا اللون كامتداد وطبيعي لكتب الشمائل النبوية ولقد اقتصر هذا اللون من السيرة النبوية على ذكر الخصائص التي أعطاها الله تعالى لنبيه (α) وما اختصه بها دوناً عن سائر الأنبياء والبشر ، وأشهر من أبلف في هذا الفن جلال الدين السيوطي(ت 911هـ) الذي جمع طائفة كبيرة من شمائل النبي (α) وضمها في كتابه المعروف بـ كتاب كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب والمشهور بأسم الخصائص الكبرى ، وكتابه الآخر الخصائص الصغرى .